انسلخ منها؟ ولا تؤتى الآيات المعجزات إلّا أهلوها الصالحون لها! ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

إنه حسب روايات عدة «بلعم بن باعورا من بني إسرائيل» أم سواه[١] ولم يكن نبياً ولا وصياً خلاف ما قد يروى، حيث العصمة ولا سيما الرسالية اصطفاء واجتباء، وكيف يصطفى ويجتبى من هو من الغاوين المخلدين إلى الأرض المتبعين أهواءهم لحد يمثّل بالكلب، وهو مكذب بآيات الله، فكيف يصطفيه إلّا الجاهل القاحل المغري للمجاهيل ويكأن الله يجهل حيث يجعل رسالته؟ و﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢] فكيف جهل هنا موضع رسالته؟

إذاً فـ ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ هنا ليست هي من آيات العصمة رسالية وسواها ولا الآيات العامة المزيدة، بل هي التي قد تؤتى غير الصالحين لردح من الزمن امتحاناً فامتهاناً، ولكي نعلم أن الآيات الربانية ليست إلّا لمستحقيها بحق والذين يعملون لها كما هيه، ليست إلّا هيه.

فسواء أكانت ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ آية استجابة الدعوة كما يروى؟ وهي آية واحدة!

---

(١) بحار الأنوار ١٣: ٣٧٧ عن تفسير القمي حدثني أبي عن الحسين بن خالد عن أبي الرضا عليه السلام أنه أعطي بلعم بن باعورا الاسم الأعظم وكان يدعو به فيستجيب له، فمال إلى فرعون في طلب موسى عليه السلام وأصحابه، قال فرعون لبلعم: أدع الله على موسى وأصحابه ليحبسه علينا، فركب حمارته ليمرّ في طلب موسى فامتنعت عليه حمارته فأقبل يضربها فأنطقها الله عزوجل فقالت: ويلك على ما تضربني؟ أتريد أن أجيء معك لتدعو على نبي الله وقوم مؤمنين؟ فلم يزل يضربها حتى قتلها، وانسلخ الاسم من لسانه وهو قوله: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ... فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦] وهو مثل ضربه.
أقول: هذا الحمار هو كالحمار الذي اختلق هذه الرواية المخيّلة للناظر إليها كان الله مجبر في إجابة دعاء ابن باعورا، فلذلك امتنع عن المرور إلى موسى خوفة دعاءه وإجابته تعالى إياه.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٢٤.

أم وآيات آفاقية وأنفسية في سلك معرفة ربانية زائدة ابتلاء له وامتحاناً؟ وقد تناسبه جمع ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ هي الآيات العوان بين الخاصة الرسالية والعامة السارية.

هنا ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ هي عوان بين الآيات المؤتيات لكافة المكلفين بمختلف قابلياتهم وفاعلياتهم، وبين الآيات الرسولية والرسالية للمرسلين، فلا هي الخاصة بـ﴿ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ من الآيات العامة، حيث تعمه وسواه، ولا هي من الآيات الخاصة الرسالية لاختصاصها بالمصطفين، فهي - إذاً - عوان بين قبيلي الآيات، أن زوّد فيما أوتي منها على سائر المكلفين، مهما نقص عن المرسلين.

فهي - إذاً - قوة زائدة في الفطرة والعقلية الإنسانية، والطاقة الحسية، أماهيه في ذلك المثلث، ومنها ظاهرة الكرامات بدعوات وسواها، قوة زائدة بين زائدة العصمة والناقصة قدر الحاجة في قضية التكليف العام، وهذه القوة رحمة للذين يتذرعون بها رفعاً لكيانهم المعرفي والعبودي، وزحمة للذين ينسلخون منها فيسقطون في هوّات الضلالة والمتاهة، وكأنهم ما أوتوا من آيات الله شيئاً.

ذلك ولقوة البصيرة والنظر، ولنضوج العقل والبصر، ولمزيد العلوم والفكر، إن لها نصيباً بالغاً للسالك إلى الله في مزيد معرفة الله، ولكنه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ وقد كانت تحوطه حيطة الجلد على البدن فسلخها عنه ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾.

فرغم أن على الإنسان الاستزادة والاستقواء من ذرائع مزيد المعرفة بالله فالحب في الله، ترى ماذا تكون حال من ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ دون محاولة منه إذا ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ رغبة في الحياة الدنيا والإخلاد إليها، قلباً لنعمة الله والذريعة إلى معرفة الله، نقمة ونعمة وجهلاً بالله، ولذلك ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾

له ولنفسه ومن سواه خالصاً كالساً فالساً عما أوتي، ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ الهاوين، رغم الآيات التي أوتيها، إذ كفر بها.

ومن هذه الآيات هي الباهرات على نبوة هذا النبي ﷺ، وهذه الآيات تحمل له بسوء صنيعه سبعاً من أبواب جحيم الغوايات لهذا الذي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ إذ بدل نعمة الله كفراً وأحل نفسه دار البوار جهنم يصلاها وبئس القرار:

١ - ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ حيث عامل ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ معاملة الكفران والنكران، فعمل في انسلاخه منها عن بكرتها فأصبح أدنى ممن أوتي آيات الله ككل وهم عامة المكلفين.

٢ - ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ في انسلاخه حيث صار من أتباع الشيطان بعد ما أوتي آيات الرحمن، ولأن المفعول الثاني لـ «أتبعه» محذوف، فهو إذا المعروف بثالوثه، أتبعه نفسه الأمارة، فاتبعه إياه: الشيطان، وأتبعه جموعا يتابعونه.

٣ - ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ بذلك الانسلاخ فالإتباع الذي هو من خلفيات الانسلاخ، فحين ينسلخ الإنسان من آيات الله، فيصبح خاوياً عنها جافياً، فهنالك إتباع الشيطان في ثالوث بخطواته الثلاث، وهنا تتم الغواية الطليقة ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ المحسوبين بحساب الشيطان: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[1] فإن له عليهم سلطاناً ما كنا حيث يحتنكهم راكباً عليهم فهم - إذاً - سيّقة الشيطان.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا﴾ رفعا من حالة الكرامة إلى هالة العصمة وما أشبه.

٤ - ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ رغم ما أوتي من آيات ترفعه إلى

(١) سورة الحجر، الآية: ٤٢.

السماء، ﴿أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرض الشهوة والحيونة والإنية والأنانية، أماهيه من أرضيات سافلة تافهة.

و﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ هنا هي أرض الحياة المادية قبال الحياة الروحية، فالمخلد نفسه بكل حوله وقوته إلى الحياة المادية، لا يعني من الحياة ما هو حي إلّا الشهوات والحيونات وإن كان موحداً فضلاً عن ملحد أو مشرك، فمن الموحدين من لا يعني من الحياة إلا دنياها، وقد يتذرع بمظاهر إيمانية بغية الوصول إلى بغيته الأرضية منها.

ذلك، والأرض هي الأرض بالنسبة لقبيلي الكفر والإيمان، بفارق أن الكافر يبصر بها فتبصّره، والمؤمن يبصر إليها فتعميه، وعلى حد قول الإمام علي عليه السلام في صفة الدنيا: «من أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته».

٥ - ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ تخلفاً عن أمر مولاه فهويّاً في خضمّ هواه، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق.

٦ - ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ بل وأضل سبيلاً، حيث الكلب كلب له كلب كما خلق، وهو جعل نفسه كلباً يكلب بانسلاخه عن آيات الله فانسلاخه عن إنسانيته، ﴿كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾ في ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾: دالعاً لسانه من العطش، فهو - إذاً - دائم اللهث وكأنه ليس له قلب يضبطه لهثه حين لا تحمل عليه.

٧ - ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[1] ومن مثلهم السوء حالة الكلب في حمل سواه.

ذلك، وباحتمال آخر قد تعني الآية أشخاصاً أخر[2] وبثالث لا تعني

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٧٧.

(٢) وهم بين أمية بن أبي الصلت وكان قد قرأ الكتب وعلم أن الله مرسل رسولاً في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو فلما أرسل الله محمداً في ذلك الوقت ورجا أن يكون حسده ثم مات =

شخصاً أو أشخاصاً خصوصاً، إنما تعني الموصوف بهذه الأوصاف الخبيثة النحيسة على مدار الزمن[١] والنص يحتمل كل هذه الثلاث فلنرسله كما أرسل دونما تحديد بواحدة من هذه.

فلقد أوتي من الآيات لحد كأنها أصبحت جلداً له يحفظه لمكان ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ انسلاخاً بسوء صنيعه إذ لم يقل: فسلخه منها، ففاعل السلخ هو هو بما صنع، وهو الله جزاءً بما ضيع فيما صنع.

ولأن هذا المسرح الغاوي الهاوي هو المجال الأجلي للشيطان، لذلك ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ اتبعه نفسه إذ أصبح تابعاً للشيطان تماماً كما انسلخ من آيات الله تماماً جزاءً وفاقاً: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ كما وأتبعه الشيطان نفسه بعد ما اتبعه نفسه الامارة، ثم اتبعه جموعاً يرأّسونه إذ أصبح من رؤساء الشيطنات ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَٰوِينَ﴾ نفسه وأتباعه، رغم ما أوتي من الآيات ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ﴾[٢].

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾ كما آتيناه إياها، لو أنه اتبعها واستفاد منها، ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ لازقاً إياها، راضياً بالحياة الدنيا من الآخرة، تاركاً آيات السماء وراءه ظهرياً ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ في إخلاده فلم ينج منه، فقد يرفع الله بآياته الذي يتذرعونها إلى الحق المرام قدر مسعاهم ومرماهم.

= كافراً ولم يؤمن بالنبي ﷺ وهو الذي قال فيه النبي ﷺ: «آمن شعره وكفر قلبه» عن عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وأبو روق - وأبي عامر الراهب الذي سماه النبي ﷺ الفاسق كان يترهب في الجاهلية فلما جاء الإسلام خرج إلى الشام وأمر المنافقين باتخاذ مسجد ضرار وأتى قيصر واستنجده على النبي ﷺ فمات طريداً وحيداً وهو قول سعيد ابن المسيب - ومنافقي أهل الكتاب كانوا يعرفون النبي ﷺ عن الحسن والأمم -

(١) وهو قول قتادة وعكرمة وأبي مسلم.

(٢) سورة النمل، الآية: ١٤.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ اللّاهث ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ﴾ هجوماً ضارياً ﴿يَلْهَثْ﴾ - ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ مسالماً ﴿يَلْهَثْ﴾ واللهث هو حال العطش، فمن الكلاب من تسوى له الحالتان ريّاً وعطشاً، فذلك الذي ﴿ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا﴾ فأصبح ريا بها لا يعطش، وأخذ يلهث وعنده ما يغنيه منها، فقد آتاه الله العلم فأغناه عن التعرض لهذا الأركس الأدنى، ولكنه ألغاه إلقاء لنفسه فيما تشتهيه نفسه الخبيثة وطبيعته الخسيسة، دونما حاجة إلى الأرض بما عنده من آيات السماء، فسواء عليه إن أوتي ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ أم لم يؤت منها فإنه لاهث عطشان للحياة الأرضية الدانية الفانية، حيث يفدي للحصول عليها بآياتنا ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ وقد أوتوها انسلاخاً منها ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ - فيا له من مشهد عجاب، إنسان آتاه الله آيات له بينات، خالعاً عليه من فضله، كاسياً من علمه بفرصة كاملة شاملة للاهتداء والارتفاع بها، وإذا هو ينسلخ منها وكأنما الآيات أديمت له متلبسة بلحمه، فهو ذا ينسلخ منها بعنف، انسلاخ الحي أمن أديمه اللّاصق بكيانه.

فمن هذه الآيات آية الفطرة: الذر التي فطر الناس عليها، حيث تلبس بها تلبس الجلد بالإنسان، تجرداً وانسلاخاً من الغطاء الواقي والدرع الحامي، فيهبط من الأفق البارق إخلاداً إلى الطين المحمى الحارق، فيصبح غرضاً للشيطان، مخلداً إلى الأرض، ملتبساً ملوثاً بطينها، ممسوخاً كالكلب اللّاهث.

ثم آية العقل وسائر الآيات الأنفسية الواسطة بين العقل والفطرة، وبينها وبين الآيات الآفاقية، من النبيين وكتاباتهم وآياتهم، ومن الكائنات ككل، وفي كل شيء له آية تدل على أنه صانع.

فبقدر ما يؤتي الإنسان من آيات الله يرجى منه بنفس القدر أن يرتفع بها

من الحياة الأرضية إلى الحياة السماوية، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه وكان أمره فرطاً، فاحصاً عن الحيونات، لاهثاً وراء الفرعنات والنمردات.

وكم من عالم عيلم نراه على مدار التاريخ يعلم دين الله بزيادة بالغة ولكنه يزيغ عنه ويزيغ، إعلاناً للبدع، واستخداماً لشرعة الله في التحريفات المقصودة والفتاوى المطلوبة أو المتطلّبة للأهواء والمصلحيات! منسلخاً من آيات الله، منتهياً إلى كلب الكلاب بلهثات لا تنقطع كما الجحيم حيث يقول كما تقول: هل من مزيد؟.

إنهم يلهثون وراء هذا الأدني الأركس، وراء الحطام، وراء الشهوات والأهواء، ولا حدود لهذه اللهثات ولا تنقطع أبداً إلّا بانقطاع أنفاسهم النحيسة البخيسة الخبيثة.

هؤلاء هم أشر خلق الله، وأخطر على دين الله من الكلاب اللاهثة الضارية في ضرايع الغنم!

كلام حول قصص القرآن:

﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ هنا، و﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ في يوسف (١١١) و﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[1] و﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ﴾[2] وما أشبه.

إنها تعريفات بالقصص القرآنية أنها تعني للرسول نفسه تثبيت فؤاده على بلاغه الرسالي دونما تلكؤٌ وتهامل، أم يأس من فاعليها، وللمرسل إليهم عبرة وتذكرة وتفكرة، فإن كل إنسان تاريخ بنفسه فضلاً عن كل جيل.

(١) سورة هود، الآية: ١٢٠.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٧.

فدراسة القصص الحق هي كراسة للتفكير، وحراسة عن التهدير، ومراسة لسلوك صالح السبيل ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ و﴿عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

فليس القرآن كتاب العرض القصصي تخديراً لأعصاب متوترة، وإتلافاً لأوقات ثمينة، إنما هو فتح لما مضى من كتاب الحياة الإنسانية، ممثلاً كافة النتائج الواقعة، خيّرة وشرّيرة من قبل لفريقي الخير والشر، فهو نبراس لمستقبل الحياة ومتراس، إضافة إلى حاضرة العظات القرآنية، المحلقة على كل صنوف البراهين، مبشرة ومنذرة.

وهذا هو المعني من السير في الأرض بتاريخها الجغرافي وجغرافياها التاريخي، تفكراً في خلق الله: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1] وذلك سير آفاقي وأنفسي متعاضدين مع بعضهما البعض للحصول على معرفة المبدء والمعاد، وسير آخر به يطلع على مسير المكذبين ومصيرهم: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2].

وجامع السير هو النظر إلى كل عواقب الخير والشر: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[3].

فقد يضم السير في الأرض إلى كل إنسان تجربات ماضية لقبيل الإنسان، فالإنسان السائر في الأرض بنظرة واقعية إلى وقائع الأرض، يصبح كأنه التاريخ كله، يقبل إلى وارده ويدبر عن شارده فيصبح ابناً صالحاً للتاريخ الواقع.

ولكي نحصل على حاق التاريخ دون ليّ وعيّ، علينا أن نكون واقعيين،

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢٠.
(٢) سورة النمل، الآية: ٦٩.
(٣) سورة الروم، الآية: ٤٢.

لا خياليين تقليديين لكل ما قيل أو يقال، فننظر إلى واقع التاريخ المفتوح، دون المقفل المغلق المغفّل الذي اختلقته مصلحيات المترفين المسيطرين على الشعوب بالسيف والنار، فإنه تاريخ منكوس مركوس يصنع من السائر فيه نكسة وركسة عن انسانيته.

فالإنسان الجاهل بالتاريخ هو ابن نفسه قدر نفسه خيّرة وشريرة، والعالم بالتاريخ هو ابن التاريخ إضافة إلى كونه ابن نفسه، حيث يجمع تجارب السابقين إلى تجاربه نفسه، ان في طريق الهدى أم طريق الردى.

ولأن النبوات هي بناة التاريخ الصالح، فالذي يدرس تاريخها بتقدماتها وعرقلاتها لتكون له نبراساً ينير الدرب إلى الحق المرام، ومتراساً يترس به عما لا يرام، ذلك الإنسان يصبح ابن النبوات بحصائلها في وسائلها التي يدرسها.

ولا بد في عرض التاريخ من أرض صالحة لذلك العرض وهو القرآن، حيث تعني ﴿فَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أرضه بعرضه لصالح التاريخ غير المدسوس ولا المغشوش.

والقرآن حافل للقصص التاريخي الصالح لإنشاء فكرة صالحة، بجنب ما هو حافل لسائر المواد التربوية الربانية.

إذاً فلا فارق بين إنشاءات القرآن وإنباءاته، حيث الكل تعني بناية الإنسان كأصلح ما يرام في حقل التربية الربانية.

﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾:

فقد رجع رجيع ظلمهم - بما كذبوا - إلى أنفسهم، فلن يضروا الله شيئاً ولا آياته حيث الحق ليس ليتحول عن حاله بتواتر التكذيب، فإنما المتحول هو نفوس الظالمين حيث نزلوا أنفسهم عن كيانها الإنساني فهم ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾:

﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾﴾:

ولا يهدي الله إلّا من هو في سبيل الاهتداء، ناحياً نحو الهدى، وأما الناحي نحو الردى، حيث يضل بما يهوى، فهو يضله مهما أوتي من آيات الله الدالة على حق الهدى.

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[1] - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[2].

إن القلوب تفقه كأصل من ناحيتين اثنتين، ذاتية أنفسية دون حاجة إلى أعين وآذان، وآفاقية هما فيها من الذرايع الإذاعية لها، فإن الصورة الصوتية المسموعة وغيرها المبصرة تنتقل إلى القلوب فتدرسها تقليباً لها ظهر بطن اصطفاء لأحسنها وأليقها تقبلاً.

فالذين ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ثم ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ بصر الإنسان الواعي ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ﴾ سمع الإنسان ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ﴾ حيث لا تفقه فقه الإنسان ولا تبصر أو تسمع كما الإنسان، ولأن ذلك في الأنعام قصور دون تقصير، وهو في الإنسان تقصير دون قصور فليس - فقط - أولئك كالأنعام ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ﴾ حيث ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ بما غفلوا، والأنعام غافلة عن ذكرى الإنسان كما خلقت.

وترى كيف ﴿ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ﴾؟ وقد خلق الخلق

(١) سورة الفرقان، الآية: ٤٤.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٢.